(133) ثم إنّ قولنا: بأنّ الظواهر تنجذب إلى ناحية "الوجود" على أثر وجود عللها لا يعني أنّ هذه الظواهر بعد وجودها بسبب العلة تتخلص نهائياً من صفة "الفقر الذاتي" ومن خصلة "الإمكان الذاتي" فتنقلب إلى موجودات غنية، لا تحتاج إلى علة. لا نقول ذلك، لأنّه لا يمكن أن ينقلب ما هو "فقير بالذات" إلى "غني بالذات"(1) إنّما المقصود هو أنّ الظاهرة تلبس حلة الوجود مع كونها متصفة بالفقر والإمكان الذاتيين دون أن تفقد هذه الصفة حتى بعد ارتدائها حلة الوجود. ولأجل هذا "الإمكان والفقر الذاتيين" يكون الاحتياج إلى العلة احتياجاً أبدياً وحالة دائمية لا تفارق طبيعة الأشياء، بحيث لو انقطع الارتباط بين "العلة والمعلول" لحظة واحدة لم يبق للظاهرة أي وجود .. بل عادت خبراً بعد أثر كما يقول المثل السائر . ولتوضيح هذه الحقيقة نشير إلى مثالين: 1. لنتصور قصراً فخماً غارقاً في أضواء المصابيح المتعدّدة المتنوعة. فعند ما يرى الشخص السطحي التفكير هذا المشهد يظن أنّ هذا النور نابع من القصر نفسه.. أي انّ طبيعة المصابيح مضيئة بنفسها. بينما لو تفحص هذا جيداً لرأى أنّ هذا النور وهذه الأضواء تتعلّق بـ "مولد الكهرباء" بحيث لو انقطع الارتباط بين المصابيح والمولد الكهربائي لحظة واحدة لغرق القصر بأسره في

---

1 . نعم غاية ما يحصل أنّ الظاهرة بعد انضمام العلّة إليها تصبح غنية بالعرض ـ حسب المصطلح الفلسفي ـ وهو يجتمع مع "الفقر الذاتي" ولا يناقضه ولا يعارضه.